مناهضة العولمة

دراسة فى سيولوجيا الحركات الاجتماعية الدولية

دكتور/ محمد محمود إبراهيم أبو العنينين
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الاداب - جامعتى طنطا والإمارات العربية المتحدة

مناهضة العولمة

دراسة في سسيولوجيا الحركات الاجتماعية الدولية (*)

مقدمة

أضـــحت العولمة تشكل واقعا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وأضحي علـــي الجميع – قويا أو ضعيفا ، متقدما أو متخلفا ، فقيرا أو غنيا – أن يتعاطى معها إما إيجابا أو سلبا ، إما قبولا أو رفضا . فإذا كانت العولمة فعلا فلا بد أن يكون لها رد فعل .

تقـــف وراء العـــولمة وتدعمها قوي دولية كبري علي رأسها الولايات المتحدة الأمـــريكية ، ومؤسسات عالمية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ، وشركات عابرة للقارات والجنسيات ، لدرجة يقال معها إن حكما جديدا للعالم New world governance في طور التشكيل .

فـــي الوقت نفسه نسمع بين الفينة والفينة عن احتجاج هنا أو معارضة هناك ، عن تظاهرة في سياتل التي كانت من العنف بحيث أطلق عليها البعض " موقعة سياتل " The Battle of Seattle أو عـــن مسيرة في نيويورك أو عن تجمعات في المحافل والمؤتمرات الدولية المنعقدة في دافوس أو جوهانسبرج أو سيدني . رجال ونساء يأتون من مختلف أرجاء المعمورة يعبرون عن اعتراضهم علي السياسات الدولية وعلي إدارة شئون العالم من هم هؤلاء الناس ؟ ما الهدف أو الأهداف التي تحركهم ؟ ما المنظمات والمؤسســـات والجمعـــيات التي ينضوون تحت لوائها ؟ كيف يتم تمويل أنشطتهم ؟ ما مـــدي فاعلية تحركاتهم ؟ وهل في مقدورهم إحداث تغيير حقيقي وملموس في مجريات

(*) د. محمد محمود إبراهيم أبو العينين أستاذ علم الاجتمـــاع المساعد – كليـــة الآداب – جامعتي طنـــطا والإمارات العربية المتحدة .

الأمور وتحقيق فكرة المواطنة العالمية global citizenship ؟

إن المتتبع للمشهد العالمي يمكنه أن يرصد التنامي الملحوظ في حركات مناهضة العولمة . يتضح ذلك من خلال ما تتناقله وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال الإبحار عبر شبكة الإنترنت . يشير الحصاد إلي أن عالمنا المعاصر يخبر نوعا من الصراع بين أنصار العولمة pro- globalization ومناهضيها anti- globalization .

في إشارة إلي التوتر الذي تفرضه الهيمنة الواسعة للولايات المتحدة علي مقدرات النظام الدولي يقول مايكل هيدسون – خبير شئون الشرق الأوسط والعالم العربي بجامعة جورج تاون الأمريكية – إن أعداء الولايات المتحدة ينتشرون في ما لا يقل عن ٨٠ دولة في الوقت الراهن ، أي نصف عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة تقريبا (نقلا عن : إبراهيم ٢٠٠٣) .

في سبتمبر عام ١٩٩٨ عقد في جنيف اجتماع للغرفة التجارية الدولية International Chamber of Commerce التي يرأسها رئيس شركة نسله Nestle حضره قادة ٤٥٠ شركة متعددة الجنسية انتهي ببيان يعبر عن رد فعل أصحاب رؤوس الأموال الدوليين تجاه حركات مناهضة العولمة جاء فيه :

" إن ظهور جماعات النشطاء يهدد بإضعاف النظام العام والمؤسسات القانونية والعلية الديمقراطية . إنه لمن الضروري تأسيس قواعد توضح شرعية هذه المؤسسات غير الحكومية التي تدعي أنها تمثل مصالح قطاعات عريضة عن المجتمع المدني " (Seoane and Taddie, ٢٠٠٢ : ١٠٥) .

تقدم الورقة الراهنة دراسة لحركات مناهضة العولمة من منظور علم الاجتماع السياسي بشكل عام مستفيدة بشكل خاص من الدراسة السوسيولوجية للحركات

الاجتماعية العالمية . Global Social Movements . إن اهتمام الفكر الاجتماعي السياســـي بدراسة الحركات الاجتماعية اهتمام قديم يرجع إلي نهاية القرن الثامن عشر حينما صك الفيلسوف الفرنسي سان سيمون Saint – Simon هذا المصطلح للإشارة إلي حركات الاحتجاج الاجتماعي التي قامت هناك ثم انسحب المصطلح بعد ذلك علي القوي السياسية المعارضة للنظام القائم . لكن إلي وقت قريب كان هذا الاهتمام منصبا علي تناول الحركات الاجتماعية المحلية أي تلك التي تقع في نطاق دولة واحدة أو حتى إقليم واحد . فقط غي السنوات الأخيرة ، ومع المد العولمي اتسعت دائرة علم الاجتماع بشـــكل عام (أبو العينين ٢٠٠٢ أ) . واتسعت معها اهتمامات سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية حتى أصبحنا نقرأ عناوين كتب ومقالات وأبحاث عن العولمة في ارتباطها بالحـــركات الاجتماعية الدولية ، وهو ما سيتضح من قائمة المراجع المثبتة بنهاية هذه الورقة . الشئ نفسه نلاحظه علي مقررات علم الاجتماع في أقسام الاجتماع بكثير من الجامعـــات [١]، وعلـــي المؤتمـــرات والـــندوات التـــي تـــنظمها الجمعيات المهنية للمتخصصـــين فـــي علـــوم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية وغيرها من العلوم

---

(١) علي سبيل المثال قام أستاذ علم الاجتماع مايرزالد Mayer Zald بإلقاء محاضرة بعنوان " العولمة والتغير الاجتماعي والحركات الاجتماعية Globalization , Social Change and Social Movement " فـــي جامعة فاندربلت Vanderbilt الأمريكية في سبتمبر ١٩٩٨. انظر الموقع التالي علي الإنترنت :

http ://www. Vanderbilt . edu / New / register / 98 _ sept21 / vr9.html

وعلي سبيل المثال أيضا قام البروفيسور ويليام فيشر William fisher بطرح مساق يحمل عـــنوان " الحـــركات الاجتماعـــية الجديـــدة والعولمة New Social Movements and Globalization فـــي ربيع عام ٢٠٠٠ في جامعة هارفرد الأمريكية . انظر الموقع التالي علي شبكة الإنترنت :

http ://www . fas. harvad . edu / socstud/ jr / fishers00 . html.

الإنسانية والاجتماعية ، ومنها الندوة التي نقدم في إطارها الورقة الحالية .

وإذا كـــان الهدف الأساسي من الورقة هو – كما أسلفنا – التعرف علي هوية حـــركة مناهضة العولمة كحركة اجتماعية ، إلا أنها تضع الموضوع بأكمله في إطار أرحب حيث تتناول الورقة في جزئها الأول مفهوم " العولمة" فتستعرض بعض المداخل والتعاريف ، ومحاولات بلورة نظرية سوسيولوجية لدراستها ، ثم تقدم عرضا تاريخيا لـــتطور العـــولمة . وتحـــاول الـــورقة فـــي جـــزئها الثاني أن ترسم ملامح الإطار السوســـيولوجي لدراســـة الحـــركات الدولية المناهضة للعولمة في ضوء مقولات علم الاجـــتماع السياسي بصفة عامة ومبحث دراسة الحركات الاجتماعية بصفة خاصة . هـــنا تبـــين الورقة إمكانية الاستفادة من عدد من ا لتوجهات النظرية المطروحة . أما الجـــزء الـــثالث والأخير فيركز علي الاستشهاد بحركات مناهضة العولمة في مناطق جغـــرافية مخـــتلفة عبـــر أرجاء العالم ويقدم تفسيرا وتحليلا لهذه الحركات يأخذ في الحســـبان العـــوامل البنائية والتاريخية التي شكلت بنية النظام العالمي .وأخيرا تختتم الورقة ببعض الاستنتاجات العامة حول موضوع الدراسة وتثير تساؤلا حول مدي قدرة الحركات الاجتماعية الدولية علي إحداث تغيير حقيقي وملموس في إدارة شئون العالم .

أولا : العولمة – المفهوم والعملية

شهدت السنوات الأخيرة توسعا وانتشارا هائلين لمصطلح العولمة للإشارة إلي التغيـــرات الكاسحة التي ألمت بالعالم خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين . من الإشـــارات المبكـــرة لفكرة العولمة مقولة " القرية العالمية " global village التي صـــكها في الستينات من القرن الماضي أستاذ الاتصال والإعلام مارشال ماكلوهان في ســـياق حديـــثه عـــن أثر تكنولوجيا الاتصالات في تقريب المسافات بين أرجاء العالم (Mcluhan, ١٩٦٢ : ١٠٢) في الثمانينات من القرن العشرين ، وعلي أثر حدوث " الانفراج " في العلاقات الأمريكية الروسية أخذ بعض الكتاب يستخدمون كلمة" عالمي "

" وعـــولمة " . أنظر علي سبيل المثال مقالين لرولاند روبرتسون أحدهما عن العولمة وتحـــديث المجتمع (Robertson , ١٩٨٧ a) والثاني عن نظرية العولمة والتحليل الحضـــاري (Robertson , ١٩٨٧ b) . أضف إلي ذلك كتاب جيفري هندرسون عن العـــولمة وإنـــتاج التكنولوجـــيا المتقدمة (Henderson ١٩٨٩) . بانهيار الاتحاد الســـوفيتي والكتلة الشرقية بدأت الكتابات تبشر بحقبة جديدة في النظام العالمي . في عام ١٩٩١ نشر لزى إسكلير كتابه سوسيولوجيا النظام العالمي (Sklair , ١٩٩٠) ثم توالت خلال التسعينات – وحتى الآن – الكتابات والدراسات حول الموضوع لدرجة يستحيل عمل أي حصر لها .

يصـــنف بيتر بير (٨١ – ٨٠ : ١٩٩٨ . Beyer) المداخل المختلفة للعولمة إلـــي : المدخل الاقتصادي والمدخل السياسي والمدخل الثقافي . فبالنسبة للمدخل الأول يعتبـــر إيمانـــويل والرشـــتين Immanuel Wallerstein مع مجموعة من الدارسين الماركســـيين – أبرز المؤكدين علي الجذور الاقتصادية للعولمة حيث يري أن العالمي world – system ما هو إلا الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وأن الجوانب السياسية والثقافية للعولمة بمثابة مشتقات أو انعكاسات لمنطق البناء الاقتصادي وعملياته . لكن الماركســـيين ليسوا وحدهم في إبراز الجانب الاقتصادي للعولمة . الدليل علي ذلك أن أكثر استخدامات مصطلح العولمة شيوعا هذه الأيام علي يد أولئك الذين يقصرونه علي الـــتطورات الحديـــثة جـــدا فـــي مجال الشركات عابرة القوميات وأسواق رأس المال العالمـــية. مـــن ذلـــك علـــي سبيل المثال كتابات تشورافاس (Chorafas , ١٩٩٢) ودوونج (Dunning, ١٩٩٣) .

أمـــا الكـــتابات التي تتبني المدخل السياسي للعولمة فتأتي من مجالات العلوم السياســـية والعلاقات الدولية والجغرافيا السياسية . ويدور الجدل في هذه التخصصات حـــول مـــا إذا كانت الدول المكونة للنظام العالمي ستظل وحدة التحليل المناسبة أم أن

النظام السياسي العالمي علي اتساعه هو الذي يستحق تلك المكانة . يفهم الفريق الأول مـــا هـــو عالمـــي علي أنه ما يتعلق فقط بالتفاعل المتبادل بين الدول مثل الدبلوماسية والتعاون بين الحكومات .

أمـــا الفريق الثاني فيري أن الدول ما هي إلا وحدات لا يستقيم فهمها إلا في ســـياق المنظومة السياسية الدولية التي تحدد النموذج الذي ينبغي أن تكون عليه الدولة والأسلوب الذي ينبغي أن تسلكه . ويعد أنتوني جيدنجر

Anthony Giddens أشـــهر مـــن أكـــدوا علـــي البنية السياسية العالمية global political structure حيـــنما أكـــد علي الرقابة السياسية والتطوير العسكري كأشياء مصاحبة – وإن تكن ليست خاضعة – للرأسمالية والتصنيع والعوامل الثقافية .

وهناك من يزاوج بين البعدين الاقتصادي والسياسي . علي سبيل المثال يربط إلمـــار أفاتـــر (Alvater ٢٠٠٠:١) بين العولمة الاقتصادية والديمقراطية فيقول : تعمـــل ظروف العولمة الاقتصادية علي انتشار الفضاء السياسي الذي يسمح بممارسة الإجـــراءات الديمقـــراطية ويؤمن إمكانية الحكم ، بمعني تولي المؤسسات الحكومية أو البنوك المركزية مسئولية التنظيم الفعال للعمليات الاقتصادية علي مختلف المستويات . يـــري ألفاتـــر أن هذا هو السبب في أزمة النموذج الكنزي Keynesian paradigm وفـــي ســـيطرة الفكـــر الليبرالـــي المحـــدث سواء في الخطاب العلمي أو السياسي . فالليبـــراليون المحدثـــون يرجون – علي المستويين النظري والسياسي – لفكرة تحجيم النفوذ التنظيمي للدولة . لقد جاء انهيار حدود الدولة القومية نتيجة للعولمة .

أخيـــرا هـــناك المـــدخل الثقافـــي للعـــولمة وأبرز من يؤكدون عليه رولاند روبرتســـون Roland Robertson ومجمـــوعة العلمـــاء المســـاهمين في دورية Theory , Culture & Society ومـــنهم علـــي ســـبيل المـــثال مايـــك فيذرستون

Mike Feaherston . تولـي هـذه المجموعة تولى هذه المجموعة اهتماما خاصا لمسـألة الهـوية – سواء الهوية الجماعية أو الفردية – ومسألة الدلالة الثقافية للإطار الاجتماعـي العالمـي الذي ينكمش فيه الزمن . وتعتبر هذه المجموعة مسئولة إلى حد كبيـر عـن إدمـاج النقاش حول ما بعد الحداثة في الجدل حول العولمة(حول العولمة الثقافية والنظرية الاجتماعية الحديثة ، انظر أبو العينين ٢٠٠٢ ب) .

تعريف العولمة

قـبل الخوض في تعاريف العولمة لا بد من الإشارة إلى أن هذه التعاريف تتأثـر (كما يقول منصور ١٤٥ : ٢٠٠٢) بانحيازات الباحثين الأيدلوجية وموقفهم من العولمة رفضا أو قبولا . ويضيف إن ثمة تيارين يسيطر عليهما الانحياز المسبق : التيار الأول يتحيز للعولمة ويعتبرها قدرا حتميا لا مفر من قبوله بغير تحفظ ، والتيار الثانـي يرفضـها رفضا مطلقا باعتبارها إعادة إنتاج لنظام الهيمنة الرأسمالي القديم . وبين التيارين يتخلق تيار ثالث يدعو إلى نوع من التفاعل الواعي مع العولمة في اتجاه " تعظيم " المنافع التي تبشر بها و " تدنية " التكاليف الاجتماعية المقترنة بالاندماج فيها والتكامل معها.

تشـير العـولمـة إلى تعدد الروابـط والاتصالات التي تتجاوز الدولة-الأمـة (وبالتالـي تتجاوز المجتمعات) التي يتكون منها العالم الحديث . كما تشير العولمة إلى العملية التي من خلالها يصبح للأحداث والقرارات والنشاطات التي يشهدها جـزء مـن أجزاء العالم نتائج ذات دلالة لأفراد ومجتمعات على مسافة بعيدة جدا من الكرة الأرضية (١ ; Higgott,١٩٩٨) .

غيـر أن مفهـوم العولمة لا يشير فقط إلى التشابك والترابط العالمي وإنما يمكـن فهم العولمة بشكل أفضل باعتبارها تعبيرا عن جوانب أساسية من تفاوت وتباين

المسافات عبر الزمان والمكان ، أو ما يطلق عليه دافيد هارفي (Harvey,١٩٨٩ :٢٤٠) " انكماش الزمان والمكان " time-space compression. ولقد انتقد زيجمونت باومان هذا المفهوم ذاهبا إلى أن العولمة تفرق بقدر ما توحد ولكنها تنشر ما يسمي بثقافة عالمية للاستهلاك ، وإن عوامل تقسيم العالم تتساوى مع عوامل توحيده (Bauman , ١٩٩٨) .

بنفس المعنى تقريبا يعرف أنتوني جيدنجز العولمة بأنها " تعميق للعلاقات الاجتماعية الدولية التي تربط أماكن متباعدة على نحو يجعل الأحداث المحلية تتأثر بوقائع تجري على بعد أميال عديدة وتؤثر فيها " (نقلا عن Robertson, ١٩٩٢) .

نحو نظرية سوسيولوجية للعولمة

قد يرى البعض أنه من السابق لأوانه الحديث عن نظرية في العولمة ، ولكن بمطالعة أحد القواميس الحديثة في علم الاجتماع (٢٠٣-٢٠٢ : Marshall,١٩٩٤) نجد إدراجا لمصطلح " العولمة " مقترنا بمصطلح " نظرية العولمة " تحت مدخل : globalization, globalization theory ، حيث تعرف نظرية العولمة بأنها النظرية التي تختبر ظهور نظام ثقافي عالمي ، والتي ترى أن الثقافة العالمية نتاج عدة تطورات اجتماعية وثقافية منها : وجود نظام معلوماتي عالمي باستخدام الفضاء ، وظهور النزعة الاستهلاكية ، وترسيخ أسلوب الحياة الكوزمبوليتاني (العالمي) ، وظهور الأنشطة الرياضية العالمية مثل الألعاب الأوليمبية وكأس العالم ودورات التنس الدولية والتوسع في السياحة العالمية ، واضمحلال سيادة الدولة – الأمة ، ونمو نظام عسكري عالمي ، والاعتراف باتساع نطاق الأزمة الإيكولوجية العالمية ، وانتشار بعض الأمراض – مثل – الإيدز – في أرجاء العالم ، وظهور منظمات سياسية دولية مثل الأمم المتحدة ، وميلاد حركات سياسية عالمية مثل الماركسية ، وانتشار مفهوم حقوق الإنسان ، وزيادة درجة التداخل بين ديانات العالم .

الأهـم مـن ذلـك كله – كما يقول مارشال – أن العولمة تعني وعياً جديداً بالعـالم باعتباره عالما واحدا . وعلى هذا الأساس فإن العولمة ليست فقط سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، كما أنها تختلف عن كل من نظرية النسق العالمي ونظرية التلاقي أو الـتقارب convergence theory التي توقعت أن تتحول كل بلدان العالم إلى مجتمع صناعي واحد . إن نظرية العولمة العاصرة – طبقا لمارشال – هي النظرية التي ترى أن العـولمة تتضـمن عمليتـين متناقضـتين تماما هما التجانس homogenization والتمايـز differentiation ، وان ثمة تفاعلا معقدا بين المحلية والعالمية ، *وأن هناك حـركات مقاومـة قوية ضد عمليات العولمة* " (قمنا بالتأكيد على العبارة الأخيرة من الاقتباس نظرا لارتباطها المباشر بموضوع الدراسة) .

بدأت محاولات وضع نظرية خاصة بالعولمة في أوائل التسعينات واستمرت طوال ذلك العقد ومن المؤكد أنها تتواصل الآن مع السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين [٢] . ويؤكد كل من روبرتسون وخوندكر (Robertson and Khondker, ١٩٩٨: ٣٨) أن مناقشة الأشكال المختلفة لخطاب العولمة هي أحد الأسس التي تستند إلـيها عملـية التنظير الشامل لهذه الظاهرة . يرى المؤلفان أن مهمة التنظير لخطاب العولمة يمكن أن تتم بالإشارة إلى العناصر التالية (Ibid:٢٨) .

١- السياق الإقليمي أو الحضاري regional, or civilizational, contexts

٢- التخصصات الأكاديمية academic disciplines

---

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر المراجع التالية :

Robertson(١٩٩٢), Beyer(١٩٩٤) , Buell(١٩٩٤), Friedman(١٩٩٤), oxford(١٩٩٥), Waters(١٩٩٥), Appadural (١٩٩٦), Hannerz(١٩٩٦), Spybey(١٩٩٦), Albrow(١٩٩٧) .

٣- الخلافات الأيدويولوجية ideological disputes

٤- خطاب العولمة المؤسس على النوع gender- based

العولمة كعملية تاريخية

يـذهب عالم الاقتصاد المصري سمير أمين (Amin,١٩٩٧: ٤١) إلى أن العـولمة بدأت منذ خمسة قرون مضت مع الغزو الأوربي للأمريكتين ، ولكنها دخلت طـورا جديدا خلال الأربعين سنة الماضية نتيجة التكثيف الهائل في المبادلات العالمية مـن كل نوع وفي كل مجال وعلى جميع الأصعدة ، مما حدا بالبعض إلى دعوة جميع مجتمعات العالم إلى الخضوع لمعيار الترشيد الذي يحكم التوسع العالمي لرأس المال . وطـبقا لأمـين فـإن وجهة النظر هذه – على الرغم من شيوعها وهيمنتها على الفكر الاقتصـادي المعاصـر – إلا أنها ليست فقط غير منطقية وخاطئة ، بل هي أيضا في منتهى الخطورة . ويفند أمين وجهة نظره على النحو التالي (lbid:٤١-٤٤) :

١- لقـد كانت الرأسمالية دوما نظاما عالميا ، وعملية التراكم التي تحد آلياتها – وهي العملية التي يشكلها قانون الفائض على المستوى العالمي والقائمة على استبعاد قوة العمـل – تـؤدي بالضـرورة إلـى استقطاب العالم إلى مراكز وهوامش ، إذن فالاسـتقطاب جـزء لا يتجـزأ من الرأسمالية أو هو ملازم لها ومتأصل فيها. إن الاعتـراف بهذا الجانب الجوهري للرأسمالية كما هي موجودة فعلا له نتائج هامة للتحلـيل النظـري ولتعريف العمل السياسي التقدمي بان كل شيء يخضع لمنطق الاستقطاب العالمي : أشكال النضال الاجتماعي التي تظهر على النطاق المحلي ، والصراعات بين دول المركز ، وأشكال التمايز بين دول الهامش [٣] .

---

(٣) لعل هذا يؤكد مع سبق ذكره أنفا من أن العالم يشهد الآن صراعا بين المؤيدين للعولمة والمناهضين لها .

٢- هـذه الخاصـية الدائمـة للرأسـمالية لا تنفي حدوث تغيير يميز التتابع المرحلي لتوسـعها. على سبيل المثال : المرحلة البريطانية الطويلة التي امتدت من ١٨١٥ إلـى ١٩١٤ قامت على نشأه السوق العالمي وخاصة بين عامي ١٨٤٨ - ١٨٩٦ التـي كانـت إحدى سماتها البنائية ذلك التضاد بين المراكز الصناعية التي تكونت تاريخـيا كقـواعد للـدول القومية البرجوازية وبين الهوامش غير الصناعية التي تحولت بالتدريج إلى وضع كولونيالي وشبه كولونيالي . وفي نهاية تلك الحقبة دخل السوق العالمي الذي كان تحت الهيمنة البريطانية أزمة بسبب منافسة كل من ألمانيا والـولايات المـتحدة . وبالتدريج أعيد بناء النظام عندما حلت القوى الجديدة محل القـوى القديمـة وراحت تقسم مناطق النفوذ في العالم مما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

٣- إن انهيار النظام القديم الذي عجلت به الثورة الروسية وأكدته الثورة الصينية على ما يبدو قد ساعد على تأسيس نظامين أطلق على أحدهما النظام الاشتراكي ، على الـرغم مـن أن مـا حدث في الواقع هو عملية فصل أجزاء كبيرة من الهامش أو عـزلها . وهذه العملية الطويلة (١٩١٧- ١٩٨٠) تنقسم بدورها إلى مرحلتين . فما بين ١٩١٤-١٩٤٥ وقعت الحربان العالميتان على مسرح المركز ، وبدءا من ١٩٤٥ أعـيد بـناء السـوق العالمـي تحـت هيمنة الولايات المتحدة في جو من الاسـتقطاب الثنائي العسكري والأيديولوجي ، وفي ظل الحرب الباردة وطول هذه الفترة بدأ الصراع بين الشرق والغرب على انه صراع بين الاشتراكية والرأسمالية مـع أنـه لـم يكـن سـوى صراع بين الهوامش والمركز تجلى في صورة أكثر راديكالية.

٤- فجرت هذه الحالة الخاصة بالنظام العالمي حركات النضال نحو التحرر في أر جاء الهوامش ، تلك الحركات التي كانت برجوازية في توجهها ورأسمالية في تطلعاتها . ولعـل حقبة باندونج (١٩٥٥-١٩٧٥) هي الحقبة التي شهدت صراعات الشمال – الجـنوب بمنطق المواجهة بين الشرق والغرب لقد تم التعبير عن متطلبات العولمة خـلال مرحلة ما بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٧٠ من خلال نموذج ذي شقين : التدخل الكنزي في الدول المتقدمة وأيديولوجيا باندونج في العالم الثالث ، وعلى النقيض من هـؤلاء وهـؤلاء حبست الدول الاشتراكية نفسها في جيتو الشمولية الأوتاركية . لقد وضـعت الأزمة التي ظهرت عام ١٩٧٠ نهاية مفاجئاه لأوهام الكينزية ولأيديولوجيا التنمية في العالم الثالث على حد سواء ، في الوقت الذي لم تجد فيه الدول الاشتراكية حـلا لمشـكلاتها . وفـي الفـراغ الذي نشأ من جراء هذه الأزمة المزدوجة قفزت الليبـرالية الجديـدة بعلاجهـا المختـزل لكل الأمراض ألا وهو السوق . غير أن المسايرة العمياء لهذا المذهب لن تؤدي إلى شيء سوى انهيار النظام العالمي وتجدد الصـراعات بين القوميات التي أصبحت منزوعة اللجام ومطلقة العنان ، وهو عكس ما وعدت به الليبرالية الجديدة .

هكـذا ولدت الليبرالية الجديدة ومعها العولمة وفي غضون سنوات قليلة انتشر المفهـوم واكتسـبت شعبية ليست في الدوائر الأكاديمية المتخصصة فحسب ، بل وبين السياسـيين ، والأكثر من ذلك بين الناس عامةً . يقول واترز " إن العولمة هي الفكرة الرئيسـية التـي يفسـر بهـا تحـول المجـتمع الإنسـاني نحـو الألفـية الثالثة " Waters١٩٩٥:١) ويقـول باومـان : " إن العولمة علي كل شفاه . إنها كلمة بدعة تتحول بسرعة إلى تعويذة سحرية أو إلى مفتاح خاص يفتح الأبواب الموصدة أمام كل أسـاطير الحاضـر والمسـتقبل " (Bauman, ibid: ١) . وبعيدا عن المبالغة في الحديث عن العولمة فان الورقة تود التأكيد على انه لا يمكن تجاهل ظاهرة بهذا الحجم،

بل إنها ينبغي أن تخضع للدراسة الجادة من جميع جوانبها . وهذا ما دفعنا إلى اختيار الحركات الاجتماعية المناهضة للعولمة موضوعا لهذه الدراسة .

ثانيا : سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية الدولية

تعريف الحركات الاجتماعية

يعـرف كاسـتيس الحركات الاجتماعية بأنها " أفعال جمعية تكون نتيجتها – سواء في حالة النصر أو الهزيمة – تحولات في قيم المجتمع ومؤسساته " ، وعليه فان كاسـتيس يـرى انـه ليس ثمة حركات اجتماعية " جيدة " وأخرى " سيئة " وليس ثمة حـركات اجتماعية " تقدمية " وأخرى " رجعية " . إنها جميعا أعراض لما نحن عليه ، ومسارات لتحولنا ، ذلك التحول الذي قد يفضي بنا إلى السعادة أو الشقاء (Castells, ١٩٩٧:٣) .

ويعـرفها ويلسون بأنها " محاولة واعية وجمعية ومنظمة إما لإحداث تغيرات واسـعة فـي هذا النظام الاجتماعي أو معارضة حدوث مثل هذه التغيرات ، وذلك من خلال وسائل غير مؤسساتية " . والحركات الاجتماعية – من وجهة نظر ويلسون – قد تفرز أبطالا وقد تفرز مهرجين ومتعصبين وحمقى . إن الرجال والنساء المشاركين في الحركات الاجتماعية قد يستشعرون ما يحيط بهم من أوجه الظلم والمعاناة والقلق ومن ثـم يحاولـون تجـاوز الطرق المعتادة في النظام الاجتماعي لشن حملات ضد شرور المجـتمع ، وهـم بـذلك يـتجاوزن أنفسـهم ويصبحون رجالا ونساء من نوع جديد (Wilson, ١٩٧٣:٥)

أمـا زيـار كـزاده فيـري أن الحركات الاجتماعية هي " جماعة من الناس يحاولون عن وعي بناء نظام اجتماعي جديد بطريقة جذرية " وأنها تتضمن أفراد ذوى

خلفيات اجتماعية متباينة جدا وتلجأ إلى أساليب تتسم بالمواجهة السياسية والتمزق الاجتماعي (٥-٤: Ziarkzadeh, ١٩٩٧)

ويتشابه مع التعاريف السابقة التعريف الذي يذكره مارشال في قاموس أكسفورد الوجيز لعلم الاجتماع : الحركات الاجتماعية عبارة عن"جهد منظم يقوم به عدد كبير من الناس لتغيير أو لمقاومة التغيير في جانب أو جوانب هامة من المجتمع " (Marshall,١٩٩٤ :٤٨٩) .

أما خصائص الحركات الاجتماعية فيحددها بايرن (Byrne, ١٩٩٧ : ١٠-١١) على النحو التالي :

١- صعوبة التنبؤ بها unpredictable ، فمثلا حركات تحرير المرأة لا تظهر بالضرورة في المجتمعات التي تكون المرأة فيها مقهورة بشكل أكبر .

٢- الافتقاد إلى العقلانية أو الرشد irrational ، بمعنى أن أنصار الحركات الاجتماعية لا يسلكون بدافع من المصلحة الذاتية .

٣- الافتقاد إلى السببية unreasonable ، بمعنى أن القائمين بها يرون أنهم على حق في خرق القانون .

٤- انعدام التنظيم disorganized ، فبعض الحركات الاجتماعية لا تكترث بالنواحي الرسمية للتنظيم حتى وإن بدت تلك فكرة صائبة .

وإذا أردنا الاستفادة من التعاريف السابقة في وضع تعريف للحركات الاجتماعية الدولية لقلنا إنها عبارة عن موجات من الاحتجاج والمعارضة لمحاولات الهيمنة التي يفرضها الغرب المتقدم تكنولوجيا على شعوب العالم أجمع وبصفة خاصة الشعوب النامية والتي تستهدف صياغة جديدة للاقتصاد والمجتمع العالميين بما يتوافق

ومصـــالح الغـــرب ، وذلـــك بمســـاعدة وتشجيع – وأحيانا كثيرة ضغوط – تمارسها المؤسســـات المالـــية العالمـــية والشركات متعددة الجنسية . ولا يسلم الأمر أحيانا من اللجـــوء إلـــى القوة العسكرية لتحقيق ذلك . وتهدف الحركات الاجتماعية إلى الحد من العـــولمة deglobalization والتصـــدي لفكـــرة الحكـــومة العالمية واستبدالها بمقولة المواطنة العالمية .

الإطار النظري لدراسة الحركات الاجتماعية

يســـعى هـــذا الجـــزء مـــن المقـــال إلى رسم إطار نظري لدراسة الحركات الاجتماعـــية الدولـــية مـــن منظور علم الاجتماع . من أشهر التصنيفات التي قدمت للحركات الاجتماعية كان ذلك التصنيف الذي اقترحه دافيد أبيرل David f. Aberle الـــذي يقـــوم علـــى المعيارين التاليين : وحدة التغير (الفرد أم المجتمع) حجم التغير المســـتهدف (جزئـــي أم كلي) . على هذا الأساس تكون هناك أربعة أنواع للحركات الاجتماعـــية : التحويلية والإصلاحية ووحدة التغيير فيهما المجتمع ونوع التغير كلي ، والوقائـــية والبديلة ووحدة التغيير فيهما الفرد ونوع التغيير جزئي (انظر الشكل رقم (١) المستوحي من شرح Marshall, ١٩٩٤ لهذا التصنيف)

شكل رقم (١)

أنواع الحركات الاجتماعية طبقا لتصنيف أبيرل

تحويلية transformative	إصلاحية reformative
وقائية redemptive	بديلة alternative

فالحـــركات التحويلـــية هي تلك التي تهدف إلى إعادة بناء المجتمع على نحو شـــامل . على سبيل المثال الحركات الدينية الكبرى . والحركات الإصلاحية هي تلك

التـــي تحـــاول إصـــلاح جوانب محددة من النظام القائم . على سبيل المثال الجماعات المـــنادية بنـــزع الســـلاح النووي . أما الحركات الوقائية فهي تلك التي تسعى لتجنيب أعضـــائها حـــياة الفساد . على سبيل المثال الجماعات المنتمية لفرق أو مذاهب دينية معيـــنة . وأخيرا الحركات البديلة وهي تلك التي تهدف إلى تغيير خصائص معينة في الأفراد الأعضاء . على سبيل المثال علاج المدمنين .

أمـــا آلان تـــورين فيقدم تصنيفا يعرف الحركات الاجتماعية على أساس من المبادئ الثلاثة التالية :-

١- هـــوية الحركة movement 's identity بمعنى التعريف الذاتي لها وماهيتها وماهية أولئك الذين تعبر عنهم أو تمثلهم .

٢- أعـــداء الحركة أو خصومها movement 's adversary كما تحدده الحركة نفسها .

٣- رؤيـــتها للنموذج الاجتماعي movement s vision of social model أو ما يســـمية كاستيس الهدف المجتمعي societal goal ويقصد به رؤية الحركة لنوع الـــنظام الاجتماعـــي أو التنظـــيم الاجتماعـــي الـــذي تـــتطلع إلـــى تحقـــيقه (Castells,١٩٩٧:٧١) .

يجمـــع العديد من دارسي الحركات الاجتماعية على أنها تطورت تطورا هائلا فـــي العقود الأربعة أو الخمسة الأخيرة ، وتحديدا منذ اندلاع الحركات الاجتماعية في الســـتينات من القرن العشرين . ويحدد كوهين وكيندي (Cohen and Kennedy, ٢٠٠٠:٢٩٠) أربعة جوانب للتغير في الحركات الاجتماعية خلال تلك الفترة :

١- التحول إلى سياسات الهوية .

٢- ظهور الثقافات المضادة.

٣- وضع السلطة موضع المساءلة .

٤- تصاعد نشاطات الحركات الشعبية .

أمـــا مـــن حيث المداخل النظرية الكبرى فيوجد نوعان من النظريات لتفسير الحركات الاجتماعية :

١- نظـــريات تعبئة الموارد resource-mobilization theory وهي معروفة أكثر فـــي أمـــريكا الشـــمالية وأشـــهر علمائها ماير زالد Mayer Zald (انظر كتابه ديناميات الحركات الاجتماعية الصادر عام ١٩٧٩ بالاشتراك مع جون ماكارثي). تتناول هذه النظريات الحركات الاجتماعية كتنظيمات وتركز على احتياجاتها لتعبئة الموارد وعلى الجماعة أو الجماعات التي ستقوم بالتعبئة وكذلك أساليب التعبئة وما ســـتقوم به السلطات للحد من الموارد . والموارد هنا يقصد بها الموارد الاقتصادية والأيديولوجـــية والرمزية . ويشار إلى عدة عوامل مثل القيادة ، شبكات الاتصال ، الوقت المتاح ، رأس المال ، العلاقة بالدوائر الاقتصادية والسياسية كعوامل أساسية في شرح وتفسير الحركات الاجتماعية أو فشلها .

٢- نظـــريات الهـــوية identity-oriented theory ، وهـــي أكثر شيوعا في أوربا الغـــربية ويمـــثلها عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين Alain Touraine وكتابه عودة الفاعل Return of the Actor الصادر عام ١٩٨٨ . تعتبر هذه النظريات الحـــركات الاجتماعـــية نـــوعا خاصا من الصراع الاجتماعي الذي يحتل وضعا مركزيا في المجتمع الحديث ، وفي التغير الاجتماعي وأنها مصدر الهوية السياسية الجديدة .. لهذا يرى تورين أن مفهوم الحركات الاجتماعية ينبغي أن يكون مفهوما

محـــوريا فـــي علـــم الاجتماع ، ويطالب علماء الاجتماع بالانغماس في الحركات الاجتماعـــية وتشـــجيعها وألا يقتصـــر دورهـــم علـــى مجـــرد دراســـتها (Tourain,١٩٨٨).

تعتمد الورقة الحالية في تأسيس خلفيتها النظرية على الجمع بين هذين النوعين من النظريات . وتبرير ذلك أن الورقة معنية بالحركات الاجتماعية الدولية التي يمكن أن ينظـــر إلـــيها كتنظيمات تعبوية من جانب (المنظور الأمريكي) وكمصدر للهوية السياســـية الجديـــدة من جانب أخر (المنظور الأوربي) . بالإضافة إلى هذا المركب النظـــري تتبنـــى الـــورقة الإطار التحليلي الذي يقدمه عالم الاجتماع الأسباني مانويل كاســـتيس Manuel Castells وبصفة خاصة ما يحتويه الجزء الثاني المعنون " قوة الهـــوية The power of Identity مـــن المجلد ذي الثلاثة أجزاء الذي بدأ كاستيس نشـــره عام ١٩٩٦ تحت عنوان عصر المعلومات " The Information Age وفيه يقـــدم تشـــريحا للحركات الاجتماعية الدولية المناهضة للنظام العالمي الجديد ويختص بالدراسة ثلاث حركات : حركة الساباتا في المكسيك ، حركة أنصار البيئة ، والحركة النسوية (Castells,١٩٩٧) .

يقـــول كاســـتيس (p.١-٢) ان عالمنا وحياتنا تتشكل بالاتجاهات المتضادة للعـــولمة والهـــوية ، فثورة المعلومات وإعادة هيكلة الرأسمالية عملتا على إيجاد شكل جديـــد للمجتمع يطلق عليه كاستيس مجتمع الشبكة The Network Society ولهذا المجتمع عدد من الخصائص هي :-

١- عولمة النشاطات الاقتصادية ذات الأهمية الاستراتيجية
٢- تنظيم على هيئة شبكة
٣- مرونة في العمل وعدم استقرار وفردية
٤- وجود ثقافة قائمة على نسق إعلامي متنوع ومتشابك ومهيمن .
٥- تحول الأساس المادي للحياة والمكان والزمان

هذا الشكل الجديد للتنظيم الاجتماعي الآخذ في الانتشار عبر العالم يعمل على تغيير المؤسسات وتحول الثقافات وتوليد وجلب الفقر وتوليد الجشع والابتكار والأمل وفي نفس الوقت يفرض الشدائد ويغرس الإحباط .

مع الثورة التكنولوجية والتحول الرأسمالي وأفول اشتراكية الدولة شهد الربع الأخير من القرن العشرين موجة من التعبير القوي عن الهوية الجماعية collective identity التي تتحدى العولمة دفاعا عن الخصوصية الثقافية وتمكين الشعوب من توجيه حياتها والسيطرة على بيئاتها . تتعدد هذه التعبيرات وتتنوع على نحو كبير تبعا لتعدد وتنوع الثقافات والمصادر التاريخية لتشكل كل هوية من الهويات . وتتضمن هذه التعبيرات حركات ترمي إلى تغيير في العلاقات الإنسانية مثل الحركة النسوية وحركة أنصار البيئة . وهي أيضا تتضمن العديد من الحركات التي تدافع عن الأمة أو العرق أو الأسرة أو المجتمع المحلي ، أي تلك العناصر الأساسية التي وجدت منذ قديم الزمان والتي يهددها الآن ذلك المزيج المتناقض من القوى التكنولوجية – الاقتصادية والحركات الاجتماعية التحويلية (p.٢) .

ويبقى السؤال : كيف نؤسس نظرية في التغير الاجتماعي ومجتمع الشبكة ؟ يرى كاستيس (p.٣) أن العولمة التكنولوجية – الاقتصادية techno-economic globalization التي تشكل عالمنا اليوم لا تتم دون تحد ، بل أنها ستتحول في المستقبل تحت ضغوط متعددة المصادر تبعا لتعدد الثقافات والتنوع التاريخي والجغرافي . فسواء كانت أمثلتنا من الولايات المتحدة أو أوربا الغربية أو روسيا أو المكسيك أو بوليفيا أو العالم الإسلامي أو الصين أو اليابان فان الإطار التحليلي لفهم العمليات الاجتماعية المختلفة هو إطار واحد لأنها جميعا مرتبطة ببعضها البعض . إن هذا التوجه كفيل بالقضاء على المداخل ذات التمركز العنصري التي ما زالت تهيمن على العلوم الاجتماعية في الوقت الذي تشهد فيه مجتمعات العالم مزيدا من التواصل والتداخل الثقافي .

يقـدم كاستيس (p.٧٠) بعض الملاحظات المنهجية التي يراها ضرورية لفهم التحليل الذي يقترحه للحركات الاجتماعية منها :

١- يجـب فهـم الحركات الاجتماعية بما تعنيه . أن البحث في الحركات الاجتماعية ينبغي أن يدرس العلاقة بينها وبين القيم والسياق والعمليات الاجتماعية التي ترتبط بها .

٢- الحركات الاجتماعية قد تكون محافظة أو ثورية وقد تكون محافظة وثورية في آن واحـد كمـا أنها قد لا تكون محافظة ولا ثورية . وليس ثمة حركة اجتماعية جيدة وأخرى سيئة . أنها جميعا تعبير عن أعراض لمجتمعاتنا وجميعها ذات تأثير على البناء الاجتماعي بدرجات مختلفة من العمق وبنتائج متباينة . أنها جميعا تعبير عن الصراعات الاجتماعية الجديدة وإرهاصات للتغير الاجتماعي .

يتبنـى كاسـتيس (p.١٠٥) تصـنيف آلان تورين المشار إليه آنفا لتصنيف الحـركات الاجتماعـية الثلاث المناهضة للعولمة : الساباتا في المكسيك ، والجماعات المسـلحة فـي الـولايات المتحدة ، وجماعة أوم اليابانية (انظر شكل رقم (٢) على الصفحة التالية) . تشترك الحركات الاجتماعية الثلاث في اتخاذ النظام العالمي الجديد خصـما لهـا ممـثلا فـي منظمات ومؤسسات معينة (الحكومة الأمريكية ، الحكومة اليابانـية، النافتا ، الأمم المتحدة) تسعى إلى تأسيس حكومة عالمية جديدة تهمين على دول العـالم وشعوبه . يرى كاستيس (p.١٠٨) أن الحركات الثلاث تمثل تحديا لعملية العولمة التي تحدث الآن تعبيرا عن الهوية أو عن مصالح جماعة ما أو دولة معينة أو حتى البشرية جمعاء . وهذه ليست الحركات الوحيدة التي تعارض تبعات العولمة سوء الاجتماعـية منها أو الاقتصادية أو الثقافية أو البيئية . فثمة حركات أخرى تنتشر عبر أرجاء العالم تبرهن على حالة الرفض التي تلقاها العولمة عبر مختلف الثقافات وتعمل علـى التعجـيل بنهاية أسطورة الليبرالية الجديدة المبشرة بميلاد اقتصاد عالمي جديد مستقل وهو ما سيتضح في الجزء التالي من الورقة .

شكل رقم (٢)

تصنيف مانويل كاستيس لحركات مناهضة العولمة

على ضوء تقسيم آلان تورين

الحركة	الهوية	الخصم	الهدف
الساباتا	المكسيكيون والهنود (الحمر) المقهورون	الرأسمالية نافتا الحكومات المنتخبة عبر انتخابات مزورة	الكرامة الديمقراطية الأرض
الجماعات الأمريكية المسلحة	المواطنون الأمريكيون الأصليون	النظام العالمي الجديد والحكومة الفيدرالية الأمريكية	الحرية والسيادة للمواطنين وللمجتمعات المحلية
أوم	مجتمع روحاني	حكومة العالم المتحد والشرطة اليابانية	أحياء سفر الرؤيا

ثالثا : الحركات الاجتماعية الدولية ومناهضة العولمة

الخلفية التاريخية

خلال الثمانينات من القرن العشرين بدأ الكثيرون من مؤيدي الحركات الاجتماعية في الغرب يدركون ضرورة تغيير فهمهم وتوجههم حيال هذه الحركات ، حيث كانوا يزدادون وعيا بان اهتماماتهم المحلية ليست منقطعة الصلة بالمشكلات والأطر العالمية . ولذلك نجد كاتبا مثل هيجدوس يستخدم في نهاية الثمانينات الكلمة

الإنجليـزية planet (والتـي تعنـي " الكـوكب ") ليشير إلى ظاهرة " الكوكبة " planetization التـي أصبحت تفرض إعادة تفكير جذري في العلاقات الدولية . إن تمكين الشعوب في مجتمعات الغرب الغنية مرتبط أشد الارتباط بتمكين شعوب الشمال الفقيـرة . ولهذا – كما يقول هيجدوس – لم يعد أنصار الحركات الاجتماعية يقصرون اهـتمامهم على قضايا مثل تحقيق الذات أو إعادة بناء الكيانات الثقافية على الرغم من أهمـية هـذه القضـايا ، بل أصبح يتنامي لديهم إحساس قوي بالمسئولية الجمعية نحو المسـتقبل على المستويات المحلية والقومية والدولية (انظر ١٩٨٩:٢٢ , Hegedus) والجزء التالي من المقال يرصد ميلاد وتطور حركات مناهضة العولمة وانتشارها عبر أرجاء العالم في فترة وجيزة .

١ – أمريكا اللاتينية

(أ) **المكسـيك** : لعل البداية كانت في أوائل عام ١٩٩٤ حينما أعلنت حركة ساباتا عن نفسـها كـأول حركة اجتماعية كبرى منذ سقوط حائط برلين لتمثل ليس فقط المجتمع المكسـيكي بـل كـل شعوب العالم المقهورة . هذا التوجه العالمي اتضح فيما بعد في اجتماعـين كان أحدهما في مدينة برشلونة الأسبانية عام ١٩٩٧ والثاني في مدينة بيليم Belem البـرازيلية عام ١٩٩٩. وبين الاجتماعين أعلن عن قيام (GPA) Global People Action .

فـي أحـراش تشياباس بالمكسيك عقد في منتصف عام ١٩٩٦ أول لقاء عبر القارات للإنسانية ومناهضة الليبرالية الجديدة .

The first Intercontinental Encounter for Humanity and Against Neoliberalism .

ففـي الفتـرة من ٢٧ يوليو إلى ٣ أغسطس ١٩٩٦ وبدعوة من جيش ساباتا للتحـرر الوطني(Zapatista Army of National liberation (EZLN تجمع

أكثـــر من ٣٠٠٠ شخص جاءوا من أكثر من ٤٠ دولة في تلك المنطقة الجبلية وقعوا على الإعلان الثاني للحقيقة the Second Declaration of Reality

(ب) البـــرازيل : شـــهدت مدينة بورتو اليجري على مدى خمسة أيام (٢٥-٣٠يناير ٢٠٠١) اجتماعات المنتدى الاجتماعي العالمي (World Social Forum (WSP والذي شارك فيه ١٥٠٠٠ شخص يمثلون اتحادات عمالية ومنظمات فلاحية ومنظمات للسكان الأصليين (الهنود الحمر) وحركة المرآة والمنظمات غير الحكومية ومنظمات الشـــباب .. يجمعهـــم شعار واحد : الكفاح ضد العولمة والليبرالية الجديدة وما يترتب علـــيهما مـــن نـــتائج . تركـــزت معظم المناقشات حول موضوعين أساسين : الثروة والديمقـــراطية . تـــبادل المفكرون والنشطاء أفكارا حول الحاجة إلى حماية الناس من قـــوى السوق ، وإعادة التوزيع العادل للثروة ، والأبعاد السياسية والاقتصادية للهيمنة العســـكرية الأمـــريكية ، وبنية النفوذ العالمي ، واستمرار الإمبريالية ، والمساواة بين الجنسين ، ودمقرطة القوة والميديا على مستوى العالم، وضمان الحق في المعلومات ، وتقنين حركة رأس المال العالمي ، ومستقبل الدولة القومية ، وقضايا أخرى .

ومنذ ذلك الوقت والمنتدى الاجتماعي العالمي يعقد بالتوازي مع منتدى دافوس الاقتصـــادي (والذي سيأتي ذكره فيما بعد) وفي العالم الحالي انعقد المنتدى لمدة ستة أيـــام في يناير في مدينة بورتو أليجري أيضا حيث تظاهر أكثر من مائة ألف شخص مـــن ١٥٣ دولـــة ودعوا إلى تغيير السياسات الاقتصادية العالمية التي وصفوها بأنها مجحفة لدول العالم الثالث والفقيرة . ومن المقرر أن يعقد المنتدى العام القادم في الهند.

تستشـــعر كاتـــبة بـــرازيلية خطر التغلغل الثقافي الأمريكي في الحياة اليومية للبـــرازيليين فـــتقول أن الهامبورجر لا يمكن أن يكون بديلا للوجبة البرازيلية التقليدية المكونة من الأرز والفاصوليا ، ولن تحقق اسطوانات الموسيقى الأمريكية مبيعات أكثر مـــن اســـطوانات الموســـيقى البرازيلية . " إننا على استعداد لقبول جوانب من الثقافة

الأمريكية ، لكننا لا زلنا نحب ثقافتنا ونعمل على الحفاظ عليها " . (٤)

(ج) فنـــزويلا : في تقرير عن أثر العولمة على اللغة الأسبانية تقول إحدى الكاتبات أن اللغة الأسبانية في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية تعاني من تغييرات سريعة بدخول كلمات ومصطلحات إنجليزية في لغة الحياة اليومية تحت تأثير الأمركة الحادثة في الإعلانات والأفـــلام ومسلسلات التلفزة والصحف " إن اللغة ترتبط بالهوية وفقدان اللغة الأم يهدد بفقدان الهوية " . وتقترح الكاتبة وضع استراتيجية لمقاومة التغير اللغوي في فنزويلا ، وذلـــك مـــن خـــلال وضع ضوابط على استخدام اللغة الإنجليزية في وسائل الإعلام ، وتشـــجيع استخدام المفردات الأسبانية بدلا من المفردات الإنجليزية خاصة في الكلمات التي يسهل وجود مرادف لها في الأسبانية . لا مانع من الانفتاح على اللغات الأخرى ولكن مع الحفاظ على ثراء اللغة المحلية . وكاتبة أخرى تقول انه من المدهش حقا أن تعـــرف مـــدى انتشار اللغة الإنجليزية في فنزويلا الآن . لقد أصبح لدينا لغة هجين ما بـــين الإنجليـــزية والأسبانية الدليل على ذلك أسماء المطاعم والملاهي . في العاصمة كـــراكاس يـــوجد حي سكني راقي تحمل جميع شوارعه إما أسماء مدن أمريكية مثل نيويورك أو أسماء شوارع أمريكية مثل Fifth Avenue (٥) .

---

(٤) Juliana Zanchett Preserving Brazilian Culture. http://staff.uscolo.edu/peterss/topics/globalization/preserve-brazil.htm

(٥) Coromoto Michelangeli English leads to Identity Crisis in Venezuela & Alice Ortiz, The Influence of English on Venezuelan Spanish. http://staff.uscolo.edu/peterss/topics/globalization/lang-venezuela.htm

٢- أمريكا الشمالية

(أ) الـولايات المـتحدة : فـي مطلـع عام ١٩٩٧ بدأ تداول أول مخطوطة لمعاهدة الاسـتثمار مـتعدد الأطـراف بمـبادرة من منظمة مراقبة التجارة العالمية بالولايات المـتحدة. كانـت هناك مفاوضات سرية حول هذه المعاهدة في أروقة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية منذ عام ١٩٩٥ . هذه المعاهدة عبارة عن اتفاق دولي بقصد حماية الاسـتثمار الأجنبـي ، وقـد اعتبـرها البعض " الإنجيل الجديد للرأسمالية العالمية " أو ميثاق النظام الجديد " القائم على هيمنة رأس المال الدولي العابر للقوميات .

عـندما تكشـف هذه المفاوضات السرية بين الجمعيات والنشطاء في الولايات المـتحدة أولا ثـم سريعا بعد ذلك في أوربا ثم على مستوى العالم كله بفضل الإنترنت بدأت تتشكل الحملة العالمية التي شاركت فيها مجموعة متنوعة جدا من منظمات حماية البيئة وحقوق الإنسان والمنظمات المناوئة للشركات عابرة القوميات والتحرر التجاري والمالـي . في الولايات المتحدة شنت هذه المنظمات حملة ضد النافتا . أما الحملة ضد معاهدة الاستثمار متعدد الأطراف فقد شكلت الانطلاقة الأولى التي ضمت مجموعة من المـنظمات غير الحكومية والمثقفين والنشطاء وممثلين عن الحركات الاجتماعية التي حققت أول انتصار لهذه الحركة الوليدة ضد العولمة .

وكانـت مديـنة سياتل بولاية واشنطن مسرحا لمظاهرات احتجاج هائلة أثناء انعقـاد الاجـتماع الـوزاري لمـنظمة التجارة العالمية (World Trade Organization (WTO فـي الفتـرة من ٢٩ نوفمبر إلى ٣ ديسمبر عام ١٩٩٩ . لقد تجمع ممـثلون عـن ٧٧٦ مـنظمة غير حكومية من مختلف أنحاء العالم لمعارضة زعامة الـولايات المتحدة للعولمة والتجارة الحرة . أعلنت حالة الطوارئ بين سلطات المدينة وفشل الوزراء في التوصل إلى اتفاق حول البنود الرئيسية في جدول الأعمال . ويرى بعض المراقبين أن مظاهرات سياتل قد كشفت عن البعد العالمي .

فـــي الـــولايات المتحدة أيضا نظم عمال شركة United Parcel Service والمعـــروفة اختصارا بـــ UPS وهي شركة خاصة لنقل البريد والطرود إضرابا لمدة أســـبوعين ضد العمل غير المستقر في منتصف عام ١٩٩٧ ونجحوا في تحدى سياسة الشـــركة المســـماة " مـــرونة العمل " التي تقف وراءها المؤسسات الاقتصادية العالمية وجمعيات أصحاب الأعمال .

(ب) كـــندا : يتنبأ تقرير للمخابرات الكندية نشرته على شبكة الإنترنت تحت عنوان " مناهضـــة العولمة " : ظاهرة منتشرة بوقوع المزيد من حركات الاحتجاج والمعارضة ضـــد المنظمات الدولية والاجتماعات والمؤتمرات التي تنظمها . ولما كانت كندا إحدى الـــدول المفضلة لمثل هذه الاجتماعات والمؤتمرات فقد حذر التقرير من التأثير السلبي لهـــذه الحـــركات على صورة البلاد كمركز جذب اقتصادي من ناحية وسمعتها كدولة ديمقـــراطية مـــن ناحـــية أخرى . ويطالب التقرير الجهات الأمنية أن تأخذ احتياطاتها بحـــيث لا تـــؤخذ علـــى غرة كما حدث مع شرطة سياتل التي فوجئت بحجم التظاهر وأعـــداد المتظاهـــرين ومـــن جهة أخرى عدم المبالغة في رد الفعل مما قد يؤدي إلى تدهور الموقف [٦] .

٣- اســـتراليا : وســـط إجراءات أمنية مشددة ومظاهرات جابت العاصمة الأسترالية ســـيدني لمناهضـــة منظمة التجارة العالمية بدأت يوم ١٤ نوفمبر العام الماضي أعمال المؤتمـــر الـــوزاري المصغر لمنظمة التجارة العالمية الذي شاركت فيه ٢٥ دولة من الدول الأعضاء . تركزت مناقشات المؤتمر على قضيتين رئيسيتين هما : تحرير السلع الـــزراعية وتيسير الإجراءات الجمركية التي تؤثر على التجارة بين الدول الأعضاء . أعـــرب المتظاهـــرون مـــوقفهم الـــرافض للعولمة ومنظمة التجارة العالمية وسياسات

---

(٦) http://www.csis-scrs.gc ca/eng/miscdocs/٢٠٠٠٠٨_e.html

الـولايات المـتحدة الأمريكية . ألقت الشرطة القبض على ١٥ متظاهرا لحرقهم العلم الأمريكـي والقـيام بتصرفات وصفتها الشرطة بأنها معادية ومخالفة لقواعد التظاهر (الأهرام ٢٠٠٢/١١/١٥) .

٤- **أوربـا** : في أوربا كان هناك تنسيق هائل على مستوى القارة في النصف الأول من عام ١٩٩٧ بين حركات العاطلين عن العمل والتي ظهرت في عدة بلدان كرد فعل لكارثـة البطالة والعمل غير المستقر أو غير الثابت الذي تمخض عن التطبيق المكثف للسياسـات الليبـرالية الحديـثة التـي جـاءت بها اتفاقية ماسترخت . ففي الفترة من ١٤ أبريل -١٤ يونيو ١٩٩٧ نظمت المسيرة الأوربية الأولى ضد البطالة والعمل غير الـثابت والاستبعاد من العمل على يد حركات العاطلين عن العمل وبدعم من اتحادات العمـال ومـنظمات المهاجـرين غيـر الشرعيين إلى أوربا ومنظمات حقوق الإنسان الأوربية وانتهت هذه المسيرة في أمستردام بمشاركة ٥٠٠٠٠ متظاهر .

(أ) **فرنسـا** : تحت عنوان " الخبر الفرنسي لا زال يقاوم العولمة " كتب Cris Yabes يقـول إنـه لا يمكـن التقليل من شأن تقاليد الغذاء الفرنسية ، لكن التحول الاقتصادي والعـولمة والتغير في نمط الحياة بدأت تعمل لصالح الطعام السريع . ففي مطلع عام ٢٠٠٠ وقـع ثلاثة آلاف شخص من سكان باريس على مذكرة احتجاج يعارضون فيها افتـتاح مطعم جديد في سلسلة مطاعم " ماكدونالدز " الأمريكية ، وقالوا أن هذا المطعم سـوف يسـبب إزعاجـا للمـنطقة التي يعيشون فيها والتي تتمتع بالهدوء والعلاقات الاجتماعية القوية . لقد اعتاد الناس في هذه المنطقة أن يتناولوا طعامهم في مطعم على نهـر السـين تـتقارب فيه موائد الطعام ويقدم اللحوم والبطاطس وقطع الجبن والنبيذ الفرنسـي . لكن أطفالهم الآن يتوسلون للذهاب إلى " ماكدو " اختصارا لماكدونالدز . ليس هناك مطعم للوجبات السريعة في هذه المنطقة الصغيرة من باريس لكن هذا النوع

من المطاعم منتشر في كل مكان بالمدينة [٧] .

في فبراير عام ٢٠٠١ تجمع الآلاف من المزارعين في باريس للاحتجاج على تخصيص مكان لماكدونالدز في أحد المعارض الزراعية لأول مرة . وعلى الرغم من أن ماكدونالدز يزعم أن ٨٠-٩٠ % من المواد المستخدمة في منتجاته هي من الإنتاج الفرنسي إلا أن وجوده في المعرض قوبل بمعارضة من اتحاد المزارعين . وكما يقول إيمانويل ترومبيه فان هذا الاحتجاج لم يكن ضد الطعام الرديء mal-buffe الذي مثله ماكدونالـــدز بقدر ما كان تعبيرا عن الحرب ضد العولمة وضد هيمنة الشركات متعددة الجنسية وضد الليبرالية [٨] .

(ب) دافوس (سويسرا) : قبل اجتماعات منتدى الاقتصادي العالمي هذا العام ٢٠٠٣ تلقي المشاركون رسالة تحذير عبر البريد الإلكتروني من إدارة المنتدى تقول "إذا كنت تفكـــر فـــي الحضـــور إلى دافوس يوم السبت ٢٥ يناير ننصحك أن تغير هذا الموعد وتحضـــر في يوم آخر . السبب هو المظاهرات التي ينوي معارضوا العولمة تنظيمها في هذا اليوم احتجاجا على انعقاد الاجتماع السنوي للمنتدى الذي يشجع العولمة ويبشر بها . ومن المنتظر أن تتسبب هذه المظاهرات في إغلاق شوارع البلدة الصغيرة وشل حركة المواصلات في شوارعها . يقول سعيد سنبل – الكاتب الصحفي بجريدة الأخبار القاهـــرية والذي اختير عضوا في مجلس المائة التابع للمنتدى – أن من الصعب التنبؤ بالنتائج التي يمكن أن تسفر عنها المظاهرات ، وهل تقتصر علي الاحتجاج السلمي أم تنفلت وتتسم بالعنف وتصطدم بالشرطة في هذا البلد الهادي الصغير الذي لم يعتد على

---

(٧) Cris Yabes, French Food still Resisting Globalization. http://www.pacificnews.org/jinn/stories/٦,٢٥/٠٠١٢٢٠-french.html

(٨) Emmanuelle Trombe,Asterix and Globalization http://staff.uscolo.edu/peterss/topics/globalization/protest-jose-bose.htm

مثل هذه الأمور (انظر مقال دافوس .. إلى أين ؟ بصحيفة أخبار اليوم ٢٠٠٣/١/٢٥.

يضـــيف سنبل قائلا : لقد ظل منتدى الاقتصاد العالمي يعقد اجتماعاته السنوية في بلدة دافوس على مدى ثلاثين عاما متواصلة لم يعرف خلالها الخصوم أو الأعداء . ولكن في السنين الأخيرة وعقب تكريس جهوده للتبشير بسياسة العولمة بدأت الحركات المناهضة للعولمة تضع المنتدى على راس قائمة الخصوم والأعداء بوصفه نادي أغني أغنـــياء العالم الذي يضم في عضويته رؤساء أغنى وأكبر الشركات العالمية العملاقة . ففـــي العـــام قـــبل الماضـــي منعت السلطات السويسرية تنظيم أية مظاهرات معادية لاجـــتماعات دافوس مما أدى إلى اندلاع مظاهرات عديدة في مختلف المدن السويسرية اتسم بعضها بالعنف والتخريب احتجاجا على منعهم من التظاهر في دافوس . وحتى لا تتكـــرر الأحـــداث التـــي وقعـــت في العام قبل الماضي سمحت السلطات السويسرية للجماعات المناهضة للعولمة بالتظاهر هذا العام في دافوس وتحدد يوم السبت ٢٥ يناير ٢٠٠٣ موعدا لها .

يقول سنبل : دافوس هذه السنة تختلف كثيرا عن دافوس التي جئت إليها لأول مـــرة منذ ثلاث عشرة سنة مضت . كانت لقاءات دافوس في الماضي تتميز بالبساطة والـــبعد عـــن الرسميات . كنت تلتقي برؤساء دول أو برؤساء أكبر الشركات العالمية العملاقـــة يســـيرون في شوارع البلدة الصغيرة بلا حراسة تذكر . ولكن الصورة اليوم اختلفت . تحول مبنى الكونجرس الذي تنعقد فيه اللقاءات والاجتماعات إلى ثكنة حربية يصـــعب الوصـــول إلـــيها ، وتـــم إغلاق العديد من المواقع والفنادق بسبب المخاوف المتزايدة من مناهضي العولمة من ناحية ومن الإرهاب من ناحية أخرى ، الأمر الذي يدفع الكثيرين إلى الاعتقاد بأنه من الصعب أن تستمر لقاءات المنتدى السنوية في بلدة دافوس .

أما مجلة نيوزويك Newsweek وعلى موقعها بالإنترنت فتقول تحت عنوان Shut Down أن يـــوم الخامس والعشرين من يناير قد أعلن يوم التظاهر الرسمي في دافـــوس مما أدى إلى فرض احتياطات آمن مشددة لم تشهدها سويسرا طوال تاريخها . لقـــد حالت الشرطة دون وصول آلاف المتظاهرين إلى دافوس بوضع نقاط تفتيش في المـــدن المؤدية إليها مثل مدينة Landquart ومدينة Fideris . ولم يجد المتظاهرون حلا إلا تقييد أجسامهم بسلاسل في القطارات حتى يتجنبوا توقيفهم من قبل الشرطة التي لجأت إلى استخدام الغاز المسيل للدموع .

ويـــنعقد اللقـــاء الســـنوي لمنـــتدى دافـــوس هذا العام تحت عنوان بناء الثقة Building Trust بعـــد أن ظهـــر استطلاعان للرأي على المستوى العالمي Public Global Opinion Polls تدهـــورا فـــي ثقة الناس بالمؤسسات الديمقراطية التقليدية مـــثل البرلمانات وبالشركات متعددة الجنسية وبالنظم القانونية . في الوقت الذي أعطى الـــناس ثقـــتهم للمنظمات غير الحكومية ٥٦% والأمم المتحدة ٤٢ % والقادة الدينين والـــروحانيين ٤١% وقادة أوربا الغربية ٣٦% والقائمين على الاقتصاد العالمي ٣٦% والقائمـــين علـــى الاقتصـــاد الوطني ٣٥% ورؤساء الشركات متعددة الجنسية ٣٣% وأخيرا قادة الولايات المتحدة ٢٧% .)

٥- **العـــالم العربـــي** : تشكل أول منتدى ضد العولمة في العالم العربي في صيف ٢٠٠١ وانعقـــد للمرة الأولى في لبنان ليتزامن مع الاجتماع الوزاري لمنظمة التجارة العالمـــية فـــي الدوحـــة في الفترة من ٩-١٣ نوفمبر . ويشرف على تنفيذ نشاطات المنـــتدى " اللقاء اللبناني حول منظمة التجارة العالمية " الذي تشكل بمبادرة من شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية وبالتعاون مع تجمع الهيئات التطوعية في لبنان ويجمـــع ممثلين عن الحركات العمالية والنسائية والمنظمات غير الحكومية والجمعيات البيئـــية والثقافية والشبابية والمعوقين . ومن المعروف أن شبكة المنظمات العربية غير

الحكومية للتنمية تضم ٤٥ شبكة وطنية ومنظمة أهلية من ١٢ دولة عربية .

يقـول زيـاد عـبد الصـمد – المدير التنفيذي لشبكة المنظمات العربية غير الحكومـية للتنمـية – إن أعمال المنتدى تساهم في الحركة الدولية الناشطة المعارضة لسـيطرة الشـركات العملاقة في البلدان القوية على التجارة العالمية من خلال منظمة الـتجارة العالمـية ، وذلـك بهدف تصويب آليات التجارة وإعطائها مضمونا تنمويا والمطالـبة بآلـيات عادلـة ومتكافئة تسمح بإعادة توزيع عادل للثروة وللحصص من التجارة العالمية . ويشير عبد الصمد إلى أن المنتدى سيعمل على تنظيم لقاءات شعبية في مختلف المناطق تتناول مواضيع محددة عن منظمة التجارة العالمية والتحديات التي تفرضـها علـى واقـع البلدان النامية وخصوصا في العالم العربي ،إضافة إلى خطة إعلامية شاملة تتضمن منشورات ومطبوعات [٩] .

وفـي مصـر أعلـن عن تشكيل المجموعة المصرية لمناهضة العولمة والتي يتضـح من موقعها على الإنترنت أنها تنتقد التوجه إلى الرأسمالية في مصر بضغوط مـن القوى الكبرى والمؤسسات الدولية ، وتظهر المجموعة الآثار السلبية لهذا التوجه علـى قطاعات العمال والفلاحين وعلى الأوضاع السياسية الداخلية وموقف مصر من القضـية الفلسطينية .. الخ . فترى المجموعة مثلا أن سياسة الخصخصة وما أدت إليه مـن تشريد لمئات الآلاف من العمال هي من أهم آثار العولمة . فجميع الاتفاقات التي وقعـتها الحكـومة مثل اتفاقية الجات واتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوربي تنص على ضرورة خصخصة جميع الشركات وإزالة جميع الحواجز الجمركية ، وتقديم أكبر قدر ممكـن من الإعفاءات الضريبية للمستثمرين . وقد أدى ذلك إلى إفقار متزايد لجماهير العمـال المصـريين ووصلت نسبة البطالة إلى ١٧ % من السكان بعد تطبيق سياسة

---

(٩) http:/www.middle-east.online.com

المعـــاش المبكـــر وبعـــد أن رفعت الحكومة يدها عن توفير فرص العمل للمواطنين . وبنفس التوجه تبين المجموعة الآثار السلبية للعولمة على فقراء الفلاحين من مستأجري الأراضـــي الـــزراعية الـــذين سلبوا حقوقهم المكتسبة من فترة التحول الاشتراكي في الخمســـينات مـــن القـــرن الماضي ، والآثار السلبية للعولمة على المسار الديمقراطي والممارسة السياسية ، وكذلك علاقات مصر الخارجية وموقفها من الصراع العربي – الإسرائيلي (١٠) .

التفسير والتحليل

يقول تقرير لصحيفة الأهرام المصرية عنوانه " هيمنة تحت جلد العولمة " إن ســـياق الحـــوادث في العام المنصرم ٢٠٠٢ كشف عن طبيعة المشكلات التي تعترض قـــيام نظام عالمي مستقر في مرحلة ما بعد انتهاء الحر ب الباردة في مطلع التسعينات من القرن العشرين . فكثير من المفكرين والمحللين في الغرب يشيرون إلى أن حوادث الحـــادي عشـــر من سبتمبر في الولايات المتحدة وضعت نهاية فعلية للحرب الباردة ، وأن مظاهر التعاون في النظام الدولي في السنوات العشر الأخيرة لم تكن سوى التمهيد الحقيقـــي لفرض القوى الكبرى الوحيدة – الولايات المتحدة – هيمنتها على كافة آليات العلاقات بين الأمم (إبراهيم ٢٠٠٣) .

بعـــد هـــذا السرد التاريخي يبقى السؤال عن العوامل البنائية والتاريخية التي وســـعت مـــن دائرة الاحتجاج والمعارضة للعولمة المصحوبة بالليبرالية الاقتصادية . والحقيقة أن الإجابة تكمن في بنية النظام العالمي ذاتها . تلك البنية التي تتسم بقدر كبير من التفاوت وعدم المساواة . إنها بنية غير عادلة في توزيع الثروة والنفوذ . هذه البنية

---

(١٠) http:/www.ageg.net/library/our_world.html

ليســت نــتاج الأمس القريب لكن الهوة فيها ازدادت اتساعا في العقود القليلة الماضية علــى نحــو لم يسبق له مثيل (حول التطور التاريخي لبنية النظام العالمي انظر أبو العينين ١٩٩٩) .

لقــد احتارت بلدان العالم النامي وهي تطور خططها الاقتصادية والاجتماعية فــي مرحلة ما بعد الاستقلال السياسي بين الاستعانة بالمساعدات الخارجية المشروطة التــي تقدمها بلدان الغرب والمؤسسات الدولية وبين تشجيع الاستثمار الأجنبي على يد شركات متعددة الجنسية .

فحيــنما لجــأت بلــدان العالم النامي إلى القروض وجدت نفسها مكبلة بديون خارجية تثقل ميزانيتها وتزعزع أمنها الاقتصادي وتعمق تبعيتها السياسية .

وحيــنما فكرت بلدان العالم النامي في فتح الباب أمام الاستثمارات الخارجية وجدت نفسها مهددة بهيمنة الشركات متعددة الجنسية التي يزيد إجمالي مبيعات البعض مــنها علــى الناتج القومي الإجمالي لبعض بلدان العالم النامي . يورد جيمس لي راي (Ray, ١٩٩٠:٣١٧-٣١٩) جدولا لأكبر مائة وحدة اقتصادية في العالم لعام ١٩٨٦ يقــارن فيه حجم الناتج القومي الإجمالي لبلدان العالم وحجم المبيعات السنوية لشركات مــتعددة الجنسية التي تندرج تحت الوحدات الاقتصادية المائة . على سبيل المثال نجد أن ميــزانية شركة مثل جنرال موتورز تفوق الناتج القومي لبلد مثل الأرجنتين ، وأن ميزانية شركة مثل إكسون أكبر من الناتج القومي الإجمالي لبلد مثل الجزائر أو تركيا .

لقــد أوضحت العديد من الدراسات على أكثر من حالة وفي فترات مختلفة أن الشركات متعددة الجنسية هي المستفيد الأول من الاستثمار وليس بلدان العالم النامي ، وإنها مسئولة إلى حد كبير عن العجز في الميزان التجاري لتلك البلدان ، وأنها تستخدم تقنــية غير ملائمة تقوم على كثافة راس المال capital-intensive technology مع

أن العـــالم النامـــي يتميز بوفرة الأيدي العاملة ومن ثم تناسبه التقنية القائمة على كثافة العمل labor- intensive technology . أضف إلى ذلك المناخ الذي تخلقه الشركات متعددة الجنسية والذي يشجع الممارسات الاستهلاكية لدى أثرياء العالم النامي .

يـــذهب بعـــض الباحثـــين إلى أن ظاهرة جديدة بدأت تتضح ألا وهي تعدد " مصادر السلطة " ، حيث حولت العولمة القوة من الدول إلى الشركات العملاقة ومكنتها مـــن بـــناء بيروقـــراطية عالمية تنعدم فيها عملية المحاسبة والمراقبة . إن عمل هذه الشركات يتمتع بسلطات جديدة وكبيرة وليس في وسع فرد أو دولة محاسبتها بما يشير إلـــى عجز الديمقراطية ليس في أوربا وأمريكا واليابان فقط . بل في الاقتصاد العالمي كله (كاظم ١٤٩ :٢٠٠٢) .

إن تشـــخيص أوضاع العلم النامي (أو العالم الثالث أو عالم الجنوب) تشير إلـــى اســـتمرار عوامل تخلفه الاقتصادي وسوء أحواله الاجتماعية وحاجته الماسة إلى عملـــية تحديث سياسي . وتأتى العولمة لتشكل تحديا جديدا وخطيرا للبلدان النامية التي تـــم اختـــراقها مـــن قـــبل الدول الرأسمالية تحت مسميات ثقافية وسياسية كالكومنولث والفرانكفونية والمؤتمر الأفريقي- الأمريكي الجديد (البرصان ٦٦:٢٠٠٢) .

ومـــن المـــتوقع أن تزداد الأمور سوءا في العالم النامي في ظل العولمة ورفع الحواجـــز الجمـــركية التـــي تعني تدفق بضائع الدول الصناعية واستثماراتها إلى دول الجـــنوب دون قيد أو شرط في الوقت الذي تفرض فيه الدول الصناعية القيود الصعبة للغاية على تدفق عمالة الجنوب للشمال . ويؤكد نورمان جيرفان أستاذ دراسات التنمية فـــي جامعة ويست إنديز بجامايكا أن العولمة تصب في مصلحة الدول الصناعية . إن خسارة الدول النامية من عدم المساواة تقدر سنويا بـــ ٥٠٠مليار دولار أي ١٠أضعاف مـــا تحصـــل علـــيه مـــن مســـاعدة خارجـــية (نقـــلا عـــن البرصـــان ٧٢- ٧١: ٢٠٠٢) .

إن التوجه نحو الاقتصاد الليبرالي الجديد بتشجيع من الدول المتقدمة – وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا – وبضغوط من المؤسسات الدولية مثل البنك الدولي وصـــندوق الـــنقد الدولي على البلدان النامية قد ولدت الحاجة لدى شعوب الجنوب إلى تكوين رؤية للتنمية الاقتصادية تتسم بالاستقلالية more autonomous وتستهدف مصلحة هذه الشعوب في المقام الأول people-centered (انظر korton,١٩٩٠:٦)

إن العولمة وإزالة الحدود قد تبدو على حد تعبير مهاتير محمد – أفكارا جذابة في عصر المعلوماتية وتقدم المواصلات والاتصالات . نحن نعرف أننا نعيش في قرية كونـــية وأننا جميعا مواطنون على كوكب الأرض . ولكن يبدو إننا لن نكون مواطنين متساويين . فبينما تفسر إزالة الحدود على إنها حق تدفق رؤوس الأموال إلى كل مكان بـــدون قـــيد فان الناس الفقراء قد لا يمكنهم عبور الحدود إلى الدول الغنية بكل حرية لأنهم سيواجهون الأسلاك الشائكة لمنع عبورهم وستبقى الحدود كما هي تحت الحراسة (مـــن خطـــاب رئـــيس وزراء ماليزيا أمام مؤتمر قمة مجموعة الـــ ١٥ المنعقد في جامايكا ١٠/٢/١٩٩٩ . انظر البرصان ٧٢ : ٢٠٠٢)

لقد أدت سياسات الاقتصاد الليبرالي المحدث والتي تزامنت مع عولمة التصنيع إلى ارتفاع معدلات البطالة خاصة بين العمال اليدويين والأقل تعليما في دول الشمال . ولهـــذا فـــان اســـتبعاد أعـــداد غفيرة من الناس من العمل وحرمانهم من مزايا النمو الاقتصادي لن تقتصر على دول الجنوب . وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع الهندي أومين ٥٢-٥١،٦٦-٤٦:١٩٩٧,Ommen) في مقال له عن الحلقات الاجتماعية في العـــالم الثالث أن المقارنة بين حركات الرفض السياسية التي قادتها الجمعيات المهمشة فـــي الماضي وبين الحركات القائمة الآن يفيد أن الأخيرة هي بحق دولية في مستواها ونطاقها وأنها متعددة الجوانب في منحاها أو توجهها لان المهمشين هم ضحايا التراكم الحادث في كل من الهيمنة والتفاوت .

لقد استفادت بعض مناطق العالم من تحرير التجارة في السلع والخدمات ومن إلغاء القيود على تدفقات رأس المال القصيرة الآجل وحققت نموا اقتصاديا حقيقيا ورفاهية . ويعيش الناس الآن – بشكل عام – حياة أفضل عما كان في العام الماضي ولكن التوسع في النظام الرأسمالي الذي يتسم الآن بالكوكبية) يتسبب في تدهور سريع في البيئة في كل أنحاء العالم ، ويدفع البشرية نحو كوارث بيئية كبرى . وعلاوة على ذلك فهو مصحوب باتساع شبه عالمي في التفاوت بين أولئك الذين يستفيدون من الأساليب الجديدة للإنتاج والتبادل وجموع فقراء المتكاثرين المهمشين أو الذين يتحملون وطأة التغيرات الهيكلية التي تحدث الآن . و التفاوت الاجتماعي قد يكون عاديا في أجزاء كثيرة من نصف الكرة الجنوبي ولكنه تزايد في مدى العقود القليلة الماضية خاصة في الصين والهند . وهذا المظهر من مظاهر التخلف يسير جنبا إلى جنب مع البطالة والعمل بعض الوقت وتشغيل الأطفال والنمو السكاني . وكثيرا ما يجلب سوء التغذية والأمراض الوبائية التي تحصد أرواح الملايين من الضحايا . ومثل هذه المشاكل لا يمكن فصلها عن انتهاكات حقوق الإنسان التي تقوض المبادئ العالمية للأمم المتحدة . وهي أيضا مصدر للانعدام الكبير للأمن كما يشهد على ذلك العدد المتزايد من الحروب الأهلية وموجات الهجرة وحركات اللاجئين (دي سينارکلين ٢٠٠١ :١١)

وعلى حد قول تشوسودوفيسكي (٢٠٠٠:٣٠٦) فان نهاية القرن العشرين ستدخل التاريخ العالمي باعتبارها فترة إفقار عالمي اتسمت بانهيار النظم الإنتاجية في العالم النامي وتصفية المؤسسات الوطنية وتحلل البرامج الصحية والتعليمية . وقد بدأت عولمة الفقر هذه التي قلبت إلى حد كبير إنجازات فترة تصفية الاستعمار فيما بعد الحرب في العالم الثالث في تزامن مع نشوب أزمة الديون وأنشبت قبضتها منذ التسعينيات في كل أقاليم العالم الرئيسية ومن بينها أمريكا الشمالية وأوربا الغربية

وبلـــدان الكتلة السوفيتية السابقة والبلدان المصنعة حديثا في جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى .

يـــؤكد تقريـــر صـــدر حديثا عن البنك الدولي أنه على الرغم من كل الجهود المـــبذولة للتغلب على الفقر إلا أن عدد الفقراء يزداد يوما بعد يوم : فهناك ٥٦% من شعوب العالم النامي من الفقراء ، وهناك ١,٢ مليار نسمة يعيشون على اقل من دولار واحـــد يومـــيا ، وهـــناك ٢,٨ ملـــيار نســـمة يعيشـــون علـــى دولاريـــن في اليوم (Narayan,٢٠٠٠:٢٦٥) .

الخاتمة

جاء التنامي المستمر للعولمة مصحوبا بحركة مناهضة تبرز الوجه الآخر لها، لدرجة يبدو معها عالمنا ينقسم إلى فريقين : أنصار العولمة ومناهضيها . ومع أن العولمة تنادي بالمساواة إلا أن بنية النظام العالمي لا زالت تتسم بقدر كبير من التفاوت. هذه البنية غير العادلة هي نفسها سبب في انتشار رد الفعل الثوري حيالها . لقد ظل علماء الاجتماع ردحا طويلا من الزمن يركزون اهتمامهم على كشف وتفسير عوامل التفاوت الطبقي والعرقي والنوعي على مستوى المجتمع الواحد ، غير أن التطورات العالمية المتلاحقة باتت تفرض عليهم ضرورة تطوير أدواتهم البحثية لدراسة هذا التفاوت على المستوى العالمي . من هنا جاءت هذه الورقة لتلبي الحاجة لدراسة سوسيولوجية للعولمة والحركات الاجتماعية الدولية .

أننا نتفق مع بعض الباحثين على أن حركات مناهضة العولمة تعد استهلالا لمرحلة جديدة من الالتقاء بين الحركات المناهضة لليبرالية الجديدة ولا بد من البحث عن جذور هذا الالتقاء وسماته الذي استطاع في غضون فترة زمنية قصيرة لا تتعدى الخمس سنوات أن يقلص خرافة العولمة وأن يرسم على المستوى العالمي إطارا لما يمكن أن نسميه حركة مناهضة العولمة والليبرالية الجديدة (Seoane and Taddei, ٢٠٠٢:١٠١) .

استندت الورقة في دراسة الموضوع على الإطار العام لعلم الاجتماع السياسي وبصفة خاصة أدبيات مبحث " الحركات الاجتماعية " فمزجت في مركب نظري بين مدخل " تعبئة الموارد " ومدخل " الهوية " مع الاستعانة بأحدث ما كتب حول تدويل الحركات الاجتماعية . ونستطيع في هذه الخاتمة أن نشير إلى عدد من الاستنتاجات الخاصة بموضوع البحث على النحو التالي :

١- تعتمد الحركات الاجتماعية الدولية في تنظيمها على الابتعاد عن الأطر المؤسسية الرسمية التابعة للدولة أو التكتلات والمؤسسات العالمية الرسمية من أمثلة الأمم المتحدة ، وتميل إلى ممارسة أنشطتها في إطار المنظمات الشعبية وغير الحكومية Non-Governmental Organization (NGOs) وهي بذلك تنتمي إلى المجتمع المدني العالمي global civil society الذي تتضح معالمه يوما بعد يوم.

٢- تعتمد الحركات الاجتماعية الدولية في تعبئة مواردها على الهبات والتبرعات التي يقدمها أفراد و مؤسسات يؤمنون بأهمية النضال من أجل السلام العالمي . ومن حيث الموارد البشرية ينحاز للحركات الاجتماعية الدولية مفكرون ونشطاء سياسيون ممن لهم رؤية نقدية للنظام العالمي وممن يعارضون الهيمنة الرأسمالية سواء من جانب الحكومات أو المؤسسات الدولية أو الشركات العملاقة . و تستفيد الحركات الاجتماعية الدولية من التقنية الحديثة في تنظيم ونشر أنشطتها ، وفي مقدمة ذلك شبكة الإنترنت.

٣- تستهدف الحركات الاجتماعية الدولية التقليل من حدة التفاوتات الاقتصادية و الاجتماعية التي تسم بنية النظام العالمي وتعارض فكرة قيام حكومة عالمية يهيمن على إدراتها رأس المال العالمي .

٤- تنادي الحركات الاجتماعية الدولية بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وترفض جميع أشكال التغلغل الثقافي والإعلامي والتكنولوجي وتعلي من شان الخصوصية.الثقافية للشعوب والقوميات والجماعات .

٥- ترى الحركات الاجتماعية الدولية إمكانية استبدال فكرة " الحكومة العالمية " بفكرة " المواطنة العالمية " ، بمعنى حق الجميع في الانتماء لعالمنا بشكل متساو ، ونشر الديمقراطية الحقيقية بين البشر ليأخذوا بزمام المبادرة وبما يتناسب مع احتياجاتهم وإمكانياتهم .

٦- تستشـــرف الحـــركات الاجتماعـــية الدولـــية مستقبلا للعالم خاليا من الصراعات والحروب ، منزوعا سلاحه النووي ، ذا بيئة صحية غير ملوثة ، خاليا من الفقر، محافظا على حقوق الإنسان ، محققا للمساواة بين الرجل والمرآة .

٧- ربمـــا كان من السابق لأوانه تقييم أثر الحركات الاجتماعية الدولية على الحد من الآثـــار السلبية للعولمة ، وذلك لأننا أمام ظواهر جديدة تجري بسرعة هائلة وعلى نطـــاق واســـع . ودراســـة مثل هذه الظواهر ستتطلب تعديلات جوهرية في أسس البحث العلمي في العلوم الاجتماعية .

إن نجـــاح الحركات الاجتماعية الدولية في تحقيق أهدافها مرهون بنجاحها فـــي عمليات تعبئة الموارد البشرية والاقتصادية ، وفي الوصول إلى القاعدة العريضة مـــن شعوب العالم . ولا نتوقع أن يكون الطريق أمامها سهلا أو مفروشا بالورود ، بل هـــو طـــريق شاق . لقد تعمقت حدة التفاوت العالمي على مدى حقبة طويلة من الزمن ربمـــا مـــنذ الـــتغلغل الاســـتعماري الأوربي ، ومن ثم فان أية محاولة للتقليل من هذا التفاوت ستتطلب زمنا طويلا وإمكانيات هائلة .

المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية

١. إبراهيم عزت (٢٠٠٣) " هيمنة تحت جلد العولمة *الأهرام* " (٣ يناير) .

٢. أبوالعينين ، محمد (٢٠٠٢ أ") علم الاجتماع والقضايا العالمية الفصل الثالث عشر (ص ٤٥٤-٤١٧) في كتاب *مقدمة في علم الاجتماع* تأليف مجموعة من أعضاء هيئة التدريس ، قسم الاجتماع ، آداب طنطا ، تحرير محمد سعيد فرح .

٣. أبو العينين محمد (٢٠٠٢ ب) العولمة الثقافية والنظرية الاجتماعية الحديثة : دراسة في المفاهيم والاتجاهات " ورقة مقدمة إلى *مؤتمر الثقافة الشعبية العربية : الهوية والمستقبل* ، جامعة المنصورة : المركز الحضاري لعلوم الإنسان ٢-٤ إبريل

٤. أبوالعينين محمد (١٩٩٩) " الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في دراسات بنية النظام العالمي "*مقال مرجعي* " (غير منشور) مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى درجة أستاذ مساعد .

٥. البرصان ، أحمد سليم (٢٠٠٢) *عالم الجنوب : المفهوم وتحدياته* . أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، سلسلة دراسات إستراتيجية العدد ٧٣ .

٦. تشوسودوفيسكي ، ميشيل (٢٠٠٠) *عولمة الفقر* ، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، القاهرة : سطور

٧. جيدنز أنتوني (٢٠٠٢) *عالم منفلت : كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا* ترجمة محمد محي الدين ، القاهرة : ميريت .

٨. دي ســـينـاركلين ، بييـــر (٢٠٠١) " المنظمات الدولية وتحديات الاتجاهات الكوكبية " *المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية* ، العدد ١٧٠ ص ٣٠ – ١١ .

٩. كـــاظم نجـــاح (٢٠٠٢) *العـــرب وعصر العولمة المعلومات – البعد الخامس* ، بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .

١٠.منصـــور ، محمد إبراهيم (٢٠٠٢) العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي *" المستقبل العربي"* أغسطس .

ثانياً : المراجع الأجنبية

1- Amin, Samir (1997) A World of Chaos, in Richard Falk and Tamas Azentes (eds.) *A New Europe in the Changing Global System.* Tokyo: The United Nations University.

2- Bauman, Zygmunt (1998) *Globalization: The Human Consequences.* Cambridge, U.K.: Polity Press.

3- Beyer, Peter (1998) The Modern Emergence of Religions and a Global Social System for Religion, *International Sociology* 13 (1): 51-172.

4- Byrne, P. (1997) *Social Movements in Britain.* London: Routledge.

5- Castells, Manuel (1997) *The Information Age: Economy, Society and Culture.* Volume II, *The Power of Identity.* Malden, Massachusetts.

6- Cohen, Robin and Paul Kennedy (2000) *Global Sociology.* London: Macmillan.

7- Harvey, David (1989) *The Condition of Post-Modernity.* Oxford: Blackwell.

8- Hegedus, Z. (1989) Social Movements and Social Change in Self-Creative Society: New Civil Initiatives in the international Arena. *International Sociology.* 4(1): 19-36.

9- Higgott, Richard (1998) *Globalization and Regionalization: New Trends in World Politics.* Abu Dhabi: The Emirates Center for Strategic Studies and Research.

10- Korton, D. (1990) *Getting to the 21st Century*. West Hartfor, CN: Kumarian Press.

11- McLuhan, Marshall (1962) *The Gutenberg Galaxy: The Making of Typographical Man.* Toronto: University of Toronto Press.

12- Marshall, Gordon (1994) *The Concise Dictionary of Sociology.* Oxford and New York: Oxford University Press.

13- Narayan, Deepa et.al. (2000) *Voices of the Poor: Can Anyone Hear Us?* Oxford: Oxford University Press (Published for the World Bank).

14- Ommen, T.K. (1997) Social Movements in the Third World, in Lindberg, S. and Sverrisson, A. (eds.) *Social Movements in Development: The Challenge to Globalization and Democratization.* Basingstoke: Macmillan.

15- Quijano, Anibal (2002) The Return of the Future and Questions about Knowledge *Current Sociology.* Vol. 50(1): 75-87.

16- Ray, James Lee (1990) *Global Politics.* Boston: Houghton Mifflin Company.

17- Robertson, Roland (1987a) Globalization and Societal Modernization, *Sociological Analysis.* 47(S): 35-42.

18- Robertson, Roland (1987b) Globalization Theory and Civilizational Analysis, *Comparative Civilizations Review.* 17 (Fall).

19- Robertson. Roland (1992) *Globalization: Social Theory and Global Culture.* London: SAGE.

20- Robertson. Roland and Habibul Haque Khondker, Discourses of Globalization: Preliminary Considerations. *International Sociology.* 13 (1): 25-40.

21- Seoane. Jose and Emilio Taddei (2002) From Seattle to Porto Alegre: The Anti-Neoliberal Globalization. *Current Sociology-* Vol. 50(1): 99-122.

22- Sklair. Leslie (1991) *Sociology of the Global System.* Baltimore: The Johns Hopkins University Press.

23- Touraine, Alain (1998) *Return of the Actor: Social Theory in Postindustrial Society.* University of Minnesota Press.

24- Wilson. William J. (1973) *Introduction to Social Movements.* New York: Basic Books.

25- Zirakzadeh, C.E. (1997) *Social Movements in Politics: A Comparative Study,* London: Longman.

26- Waters, M (1995). *Globalization.* London: Routledge .